The 1867 Epidemic in Morocco through the Manuscript of Al- Mashrafi

Al- Sheikh Lakhal

Abstract

In this research paper, the researcher deals with the problem of the great epidemic that occurred in the countries of the Maghreb with its three countries, Tunisia, Algeria and Morocco in 1867 through the Al-Mashrafi manuscript.

The researcher concluded through this study that: the epidemic of 1867 is considered one of the largest disasters that befelled the country of the Maghreb in its contemporary history. The manuscript of the Algerian Abi Muhammad Al-Arabi Al-Mashrafi Al-Gh'raisi is one of the rare local sources that describe this epidemic.

Al-Mashrafi was one of the Algerian scholars who immigrated to the Morocco after the French occupied the West of Algeria and eliminated the resistance of Abdelkader. When the epidemic occurred, he was stable in Fez, and he described in a precise description the development of this epidemic since the year 1850, when prices began to rise and the locusts followed in 1866, who invaded large areas of the Far Maghreb from Meknes to Fes and Oujda, and he ate green and dry and was the cause of great endeavor or starvation, to solve Then the great epidemic in 1867.

In this manuscript, Al-Mashrafi documented his observations of what happened to a tragedy of Fez due to this epidemic that affected a large number of its inhabitants, and not even the rich and the dignitaries survived.

If he had described the beginning of this epidemic, he did not mention its end, because he finished writing his letter on June 30, 1868, as it is written at the end of the manuscript.

Also, Al-Mashrafi mentioned that this epidemic has spread in Tunisia and Algeria, and he stated that their conditions were worse than Fez. According to the news that he was returning, half of the population of Algeria and the other half perished in it.

Key words: Epidemic, Manuscript, Al-Mashrafi , Maghreb.

وباء عام 1867 ببلاد المغرب من خلال مخطوط المشرفي

الـشـــــــــــيـــخ لـكـــــــــــحـل

قسم التاريخ، جامعة غـردايـة، الجمهورية الجزائرية

الملخص

يتناول الباحث في هذه الورقة البحثية إشكالية الوباء الكبير الذي حدث ببلاد المغرب العربي بأقطاره الثلاثة: تونس الجزائر والمغرب سنة 1867من خلال مخطوط المشرفي.

وقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى أن وباء عام 1867 يعتبر من أكبر الكوارث التي حلت ببلاد المغرب في تاريخها المعاصر، ومخطوط أبي محمد العربي المشرفي الغريسي الجزائري من المصادر المحلية النادرة التي تصف هذا الوباء.

وكان المشرفي من العلماء الجزائريين الذي هاجروا نحو المغرب الأقصى بعد استيلاء الفرنسيين على الغرب الجزائري والقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر. ولما حل الوباء كان مستقراً بفاس، فوصف وصفاً دقيقاً تطور هذا الوباء منذ سنة 1850 حين بدأ غلاء الأسعار ثم تبعه الجراد سنة 1866 الذي اجتاح مناطق كبيرة من المغرب الأقصى من مكناس حتى فاس ووجدة، وأكل الأخضر واليابس، وكان سبباً في المسغبة العظيمة أو المجاعة، ليحل بعدها الوباء الكبير سنة 1867.

وقد وثّق المشرفي في هذا المخطوط مشاهداته لما حل بفاس من المآسي؛ بسبب هذا الوباء الذي أتى على عدد كبير من ساكنتها ولم يسلم منه حتى الأغنياء والأعيان.

وإن كان المشرفي قد وصف بداية هذا الوباء فإنه لم يذكر نهايته؛ لأنه انتهى من كتابة رسالته يوم 30 جوان 1868 كما هو مدون في نهاية المخطوط.

كما أن المشرفي ذكر أن هذا الوباء كان عاماً في تونس والجزائر وأن أحوالهما كانت أسوأ من فاس، وبحسب الأخبار التي كانت ترده فقد هلك بسبب هذا الوباء نصف سكان الجزائر والنصف الآخر بدأ فيه الوباء.

الكلمات المفتاحية: وباء، مخطوط، المشرفي، المغرب.

مقدمة

عرفت بلاد المغرب؛ الجزائر، تونس، والمغرب الأقصى، عدة مجاعات وأوبئة خلال تاريخها المعاصر، وتبقى كارثة سنوات 1866-1867-1868 متميزة في تاريخ هذه البلدان؛ وذلك لما أثرت فيه على الناحية الاجتماعية والديمغرافية بشكل كبير؛ إذ أدى إلى هلاك مئات آلاف من الأنفس، بعد أن شهدت توالي الكوارث من جراد وزلازل ومجاعات وأوبئة. وقد ترافق مع ذلك وطأة الهيمنة الاستعمارية الفرنسية التي زادت من تأزم الوضع؛ بسبب عدم قيامها بواجب التكفل والمواساة للأهالي، بل كانت في كثير من الأحيان تزيد في بؤس الناس ومعاناتهم بما تفرضه من ضرائب ولَزْمات، وبما تشنه من حروب واعتداءات.

وقد تحدثت كثير من المصادر العربية والأجنبية عن وباء عام 1867م، لكن ما وصلنا من المصادر المحلية قليل، من بينها مخطوط المشرفي، الذي سنتناوله في ورقتنا البحثية.

فما وباء عام 1867؟ وكيف تناوله المشرفي في مخطوطه؟

أولاً: التعريف بمخطوط المشرفي

1 - المؤلف

أما المؤلف؛ فهو أبو حامد العربي بن عبدالقادر بن علي المَشْرفي الغريسي المعسكري من أغزر علماء الجزائر إنتاجاً في القرن 19، ولد بمنطقة غريس بمعسكر بالغرب الجزائري، ونزل بفاس وتوفي بها سنة 1895 [1]. هاجر مع كثير من أفراد عائلته بعد دخول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة، المغرب، ويذكر في بعض مؤلفاته أنه شارك في أحداث المقاومة [2]. كما كانت له حظوة ومكانة عند السلطان المغربي الحسن الأول.

ترك العديد من المؤلفات، وبخاصة في التاريخ والتصوف والمناقب، مازال أكثرها مخطوطاً؛ منها:

"ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولاي مجاجة".

وتعرف أيضاً" باليواقيت الثمينة الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولاي مجاجة" . و"نزهة الأبصار، لذوي المعرفة والاستبصار، تنفي عن المتكاسل الوسن، في مناقب سيدي أحمد بن محمد ووالده السيد الحسن" ؛ وقد عرّف فيه بالشيخين أبي علي الحسن وولده أبي العباس أحمد بن محمد التمكدشتي. و"الرحلة العريضة في أداء الفريضة" و "رحلة إلى بلاد الجزائر" [3].

كما ترك "ديوان شعر" قال عنه ابن سودة: رأيت ذكره في أسماء كتب دار المخزن السعيدة بفاس، وانه في مجلد [4]. كما ألّف "رحلة القبائل الجبلية" وهي منظومة في نحو مائة بيت.

و"فتح المنان في شرح قصيدة ابن الونان، أو المواهب السنية في شرح الشمقمقية" . أتمه سنة 1295هـ/ 1877م، في مجلد [5].

وفي الردود على المخالفين ألّف: "أقوال المطاعين في الطعن والطواعين" و"تقييد في ذم البلديين من أهل فاس" و"الحسام المشرفي، لقطع لسان الشاب العجرفي، الناطق بخرافات الجعسوس، سيئ الظن أكنسوس" و"الدر المكنون في الرد على العلامة جنون" . قال ابن سودة: "انتصر فيه لأصحاب الطرق ورد فيه علي المخالف رداً شنيعاً خرج فيه علي الحد الشرعي" [6].

ومن مؤلفاته في التاريخ نجد "ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الدول" . و"طرس الأخبار بما جرى للمسلمين آخر القرن الثالث عشر مع الكفار" ، و"كناشة" ، و"المشرفي الحمزاوي لقطع فؤاد الخبزاوي" ، و"عجيب الذاهب والجائي في فضيحة الغالي اللجائي" ، قال ابن سودة: رد فيه على الغالي بن محمد العمراني الحسني اللجائي، حيث كان يتنطع على الحاج عبدالقادر بن محيي الدين أمير الجزائر، والمشرفي كان ينتصر له" [7]. و"مشموم عذارى النجد والقيطان" [8].

والظاهر أن أبا حامد المشرفي كان من المهتمين بالتاريخ حقيقة، وله حاسة تاريخية كبيرة. ويقول عنه أبو القاسم سعد الله: إنه "لو تعلم مناهج البحث وعاش في بيئة متطورة لأنتج أعمالاً تاريخية ذات قيمة ليس في موضوعاتها وأحجامها ولكن في آرائها

وتحاليلها. ولكنه عاش في زمن متقلب ودرس دراسة مبعثرة، وكان معتمداً على نفسه وحاسته التاريخية ومحفوظاته. وناهيك برجل قضى جل حياته معلماً للصبيان ليجلب الرزق له ولأهله " [9].

وقد رجع أبوحامد المشرفي إلى الجزائر مرتين، الأولى بعد خروج الأمير منها؛ أي 1265هـ (1848 – 1849)، أثناء مروره إلى الحج. أما المرة الثانية؛ فكانت سنة 1294هـ (فبراير 1877) [10].

2 - المخطوط

أما المخطوط؛ فهو من تآليف أبي حامد المشرفي العديدة، وهو رسالة صغيرة، عدد أوراقها 19، من مقاس 270/ 210 سم، مكتوبة بخط مغربي رقيق، لكنه مقروء، وعلى وجه واحد من الورقة. وهذا المخطوط موجود بالمكتبة الوطنية الجزائرية، في مصلحة المخطوطات تحت رقم 3013.

ابتدأه المؤلف بعد خطبة التقديم بذكر مناقب الأشراف الحسنيين وكذلك مفاخر العلويين. كما عرج على مناقبه، لينتقل بعد ذلك إلى التكلم عن الوباء، بداية من الورقة رقم 6.

ولم يذكر المشرفي عنواناً لهذا التصنيف، وإنما أشار لغرضه من تأليف هذه الرسالة؛ وهو أخذ العبرة والاعتبار من هذه المصائب.

بينما ذكر أنه انتهى من كتابة هذه الرسالة يوم 29صفر 1285هـ / 30 جوان 1868، كما ورد في آخر المخطوط.

ثانياً: وباء عام 1867

عرفت الجزائر وبلدان المغرب العربي عدة مجاعات وأوبئة خلال تاريخها المعاصر، وتبقى كارثة سنوات 1866–1867–1868 محفورة في تاريخ هذه البلدان؛ وذلك لما أثرت فيه من الناحية الاجتماعية والديمغرافية بشكل كبير؛ حيث أدى إلى هلاك مئات آلاف من الأنفس. وشهدت توالي الكوارث من جراد وزلازل ومجاعات وأوبئة.

لقد بدأت الكارثة بغزو الجراد؛ حيث وصل الجراد منذ شهر أفريل من سنة 1866 إلى سهل متيجة وقضى على محاصيل القمح التي ينتجها هذا السهل، كما ذكر الأب بيرزيه[11]. Burzet، بينما أشار العنتري إلى أن الجراد الذي عمّ بلد قسنطينة وسائر وطنها قد أدى إلى إتلاف الأقوات وغلاء الأسعار؛ وهو ما نتج عنه مجاعة كبيرة [12].

ويذكر الشقراني أن هذه المجاعة تسببت في موت خلق كثير من الآدميين والمواشي والدواب وفقدت الأقوات والعشب والأعلاف؛ لأن المطر لم ينزل في تلك السنة قط؛ حتى فقد الحب ولم يوجد إلاعند بعض الناس من الفلاحين وتجار اليهود والنصارى، ويستمر الشقراني في وصف شدة هذه المجاعة إلى درجة أن الناس قد اضطروا إلى أكل خشاش الأرض كالسلاحف والضفادع والسراطين، حتى إنه لم يبق خشاش على وجه الأرض، كما أكلوا الكلاب وميتة الدواب، بل منهم من أكل ميتة الآدمي، كما بلغه [13].

ويذهب العنتري إلى وصف هذه الكارثة بالمجاعة السوداء؛ ويضيف: وفيها أشرف الناس على الهلاك الأليم، والبلاء العظيم؛ حيث إنه لم يسمع في الزمان بمثلها، وقد حصل فيها الضعف لعامة الخلق، بل فقد الكثير من خواصهم أيضاً بادية وحاضرة من التشتت والفناء وأكل الحشيش ونحوه.

ولشدة هولها، تأثر الناس كثيراً بويلاتها، وفيها صار جل المتضررين يقدمون على اقتيات ماتعافه النفس البشرية ويحرمه الشرع؛ كأكل القطط والدم والميتة وغير ذلك من المحرمات المستقذرة [14].

ونتيجة لهذه الظروف سارع الناس إلى بيع العقار والحلي والسلاح والأمتعة وأواني البيت المحتاج إليها بأبخس ثمن، ووقع في الناس الرعب والفزع والهرج والجزع، وأخذوا يتجولون في الطرقات ذكوراً وإناثاً، وهناك أجهده الجوع في مكان عامر أو غامر فأكل الكلاب ودواب الأرض، ومن العجب أن من أجهده الجوع وشبع مات فلا يؤثر فيه الأكل ولايفيده [15]. وقد عمت هذه المجاعة تونس أيضاً، فبحسب ما ذكره العنتري فقد كانت الكارثة في تونس أكبر من الجزائر [16].

ولم تكد تبدأ سنة 1867 حتى عرفت الجزائر كارثة جديدة وهي الزلازل؛ إذ شهد

الأطلس البليدي سلاسل متتالية من الهزات الأرضية والارتدادات يوم 2 جانفي 1867، اختلفت في شدتها بين الخفيفة والمتوسطة والشديدة، خلّفت العشرات من الضحايا ما بين قتيل وجريح، وقد كان حظ هؤلاء من مساعدات إدارة الاحتلال وفيراً؛ لأن أغلب الضحايا كانوا من الأوروبيين واليهود، في مدن البليدة، العفرون، حمر العين، بني مراد . . وغيرها؛ ذلك أن غالبية الأهالي الجزائريين كانوا في الأصل يسكنون خياماً وأكواخاً بسيطة[17].

ولم تكن تلك المجاعة وهذه الزلازل سوى إيذان بحلول نكبة أشد وقعاً على الجزائريين وهي مرض الكوليرا، وظهر منها عدم استعداد الإدارة الفرنسية لمواجهة الأخطار المحدقة بالصحة العام، فقد انتشرت الكوليرا بعنف نتيجة سوء الأحوال الاقتصادية (المجاعة نتيجة الجراد والجفاف، وبعض الزلازل). ولم تصب الكوليرا الأوروبيين لحسن وضعهم الاقتصادي واتخاذهم أسباب الوقاية[18].

ويذكر الشقراني أنه مات بسبب هذا الوباء خلق كثير؛ ويصف حالة المرض في جسم الإنسان بقوله: "إن الضر ينزل أولاً على القلب فينشأ عنه القيء وإسهال البطن فيموت الآدمي بذلك "[19].

ويرجع الأب بيرزيه سبب ظهور الكوليرا إلى تعفن الهواء؛ بسبب الأعداد الهائلة من أسراب الجراد التي تم القضاء عليها في السنة الماضية. ويذكر أن الوباء بدأ أول مرة في المدن، فكان على من يريد أن يحمي نفسه من المرض أن " يفرّ " إلى الريف [20].

انتشر بالشرق الجزائري وتحديداً بقسنطينة وضواحيها، بسبب اجتياح الكوليرا لتونس والمشرق، وتسربه إلى الجزائر، وانتشار العدوى إلى باقي المناطق كتنس، والأصنام، البليدة، القليعة، وشرشال، كما انتشر الوباء بمدينة باتنة أيضاً بسبب أولئك الجنود الفرنسين القادمين من المناطق التي تفشى فيها هذ االمرض. [21]وقد قدرت المصادر الفرنسية عدد الموتى الجزائريين بسبب مرض الكوليرا بـ 250 ألفاً خلال شهرين فقط[22]. وهذا ما يدل على أن الحصيلة كانت كبيرة جداً.

كما شهدت مناطق عديدة من الجزائر؛ مثل قسنطينة، معسكر، سكيدة، الأصنام،

دلس . . . وغيرها، انتشار مرض الجدري وما صاحبه من مرض التيفوس عام 1867، التي فقدت نسبة مهمة من سكانها وخاصة الأطفال؛ أما الناجون فقد أصيبوا بالعمى[23].

إن هذه الكوارث التي شهدتها الجزائر سنوات 1866-1867-1868، تسببت في وفاة 500 ألف جزائري، بينما كان عدد السكان وقتها 2.9 مليون نسمة؛ أي أن الخسائر البشرية لتلك الكوارث طالت نحو 17 % من مجموع السكان. بينما ترتفع بعض التقديرات إلى أنه راح ضحية هذه الكوارث 30.7 % من الجزائريين؛ مما أحدث خللاً ديمغرافياً في الجزائر في ذلك الوقت [24].

وقد كان معدل الوفيات يفوق معدل الولادات، تحديداً كما حدث سنة 1867 - 1868م، أي انتشر وباء الكوليرا، والتيفوس تزامناً مع فترة الجفاف، وكذلك الزلزال الذي ضرب مدينة الجزائر؛ مما أدى إلى انهيار ديموغرافي حيث بلغ عدد الوفيات 552.000 نسمة؛ منها 300.000 ضحية بسبب مجاعة 1867 - 1868م. إن أهم فترة انخفض فيها عدد السكان بالجزائر كانت ممتدة مابين 1861 و1872، التي أطلق عليها المؤرخون اسم الكارثة الديمغرافية؛ نظراً للخسائر البشرية التي خلفتها[25].

أما في المغرب؛ فتصف المصادر حالة المغرب بشكل يشبه ما وصف به الشقراني والعنتري حالة الجزائر؛ فيذكر السلاوي: " أنه في سنة 1283هـ/ 1866مكان بالمغرب جراد سدّ الأفق وذلك في ربيع الأول الموافق لشهر مارس العجمي فأكل النجم والشجر ثم عقبه فرخه المعروف بآمرد، فأكل كل خضراء على وجه الأرض، واستلب الأعواد من أوراقها وقشرها من لحائها وفاض في الأمصار حتى دخل على الناس في بيوتهم.

وفي سنة 1234هـ/ 1867م كان الغلاء المفرط بالمغرب الذي لم يتقدم مثله بلغ فيه الربيع وهو ربع ثمن المدبس لاورباط الفتح ستين أوقية وباع الناس أثاثهم وحليهم بالبخس وكان الأمر شديداً على الضعفاء، وفي ذي القعدة من هذه السنة توفي القائد الأجل أبومحمد عبدالله بن عبدالملك بن بيهي الحاحي وكان من كبار قواد المغرب وأهل البذل والإيثار والمعروف، له في ذلك أخبار مذكورة، رحمه الله. ثم كان الوباء بالمغرب بالقيء والإسهال المفرطين على نحو ما وصفناه في السنين الماضية " [26].

وتذكر بعض الدراسات أن الوباء دخل المغرب من الجهة الشرقية المتاخمة للجزائر سنة 1867، لتظهر أول الحالات بمدينة تطوان، قادمة من العاصمة وهران، لينتشر الوباء بشكل سريع جداً في باقي ربوع المملكة. وأنه خلال الفترة 1867-1869 قضي على نحو 6400 مغربي بسبب وباء الكوليرا [27].

ثالثاً: وصف الوباء في المخطوط

تناول المشرفي الحديث عن الوباء عبر ثلاث مراحل:

1 - المرحلة الأولى: مقدمات الوباء

يذكر في الورقة رقم 5 أن هذا الوباء كان مسبوقاً بعدة كوارث؛ فقد بدأ الغلاء سنة 1267هـ/ 1850م، حيث وصل مد القمح إلى 30 أوقية بعدأن كان 8 أواق. استمر هذا الغلاء لمدة طويلة إلى أن بدأ يزول مع سنة1865 بنزول الأمطار الغزيرة والفيضانات، ثم تلاه سنة 1283هـ/ 1866م غزو الجراد الذي كان في الحوز المراكشي فقط ثم باض وانتشر في الأرض.

وذكر في الورقة 7، أن مصيبةالجرادقد نتج عنها غلاء مفرط في المواد الدسمة؛ مثل الزيت والسمن بسبب قلة النبات والثمر، حتى بيعت قلة الزيت بعشرة مثاقيل بعد أن كانت بمثقالين. وبهذا لم تكن هذه المواد إلاعند الأثرياء.

2 - المرحة الثانية: المسغبة العظيمة

يذكر المشرفي أن هذاالغلاء قدنتج عنه كارثة الجوع العظيم أواخر سنة 1284هـ/ 1867م حتى مات خلق كثير من أهل ريف البحر وأعراب وجدة ومساكن البادية التي انحشرت بفاس وفقراء حاضرتها حتى كان يموت جميع ما احتوت عليه الدار من العيال.

ويستطرد المشرفي في وصف الآثار الاجتماعية لهذه المسغبة حين يشير في الورقة 8 إلى هجرة ساكني القرى الجبلية نحو حاضرة فاس بأولادهم ولم يبق منهم في الجبال إلا القليل، فترى الطريق تسيل بهم وبأهل الريف وأعراب المدينة إلى حاضرتهاسيل الماء،

وهم حفاة عراة والموتى ملقون عن يمين الطريق وعن شماله، فلم تبق عند أهل البادية حرمة الميت ولا الحي، فلم يؤانسوا حياً ولم يدفنوا ميتاً. وهذا توصيف فظيع من المشرفي للهزات الاجتماعية الكبيرة التي عرفتها تلك المناطق بسبب الجوع.

3 - المرحلة الثالثة: الوباء

وتبع مصيبة الجوع مصيبة الوباء، فمات بسببه العدد الأعم من أعيان فاس، منهم ابن السلطان، أبوالعباس مولاي أحمد من أولاده المرشحين للخلافة الذي توفي ليلة الأحد 11 صفر 1285هـ/ 2 جوان 1868م، ويضيف في الورقة 9 أن هناك عدداً كبيراً من الأغنياء قد أهلكهم هذا الوباء بسبب عدم مواساتهم للفقراء في زمن الشدة، أي المجاعة. ومات بهذا الوباء عدد لا يحصى من النساء والصبيان.

وكل هذه المصائب (الجراد، الجوع، الوباء) كانت بسبب الذنوب وقلة الخوف من الله وفساد المعاملات، وأعظمها معاملة القوم بالربا وقلة الرحمة في الأغنياء، بحسب رأيه.

ويذكر في الورقة 11 أن ماحل بفاس لا يمكن مقارنته بماحل بتونس والجزائر من الجوع الفادح الذي أكلت بسببه الناس لحوم الأحياء والأموات، كانت الكلاب تأكل من لحوم الأموات التي لم تدفن. أما في الجزائر فمات النصف وشرع الموت في النصف الآخر.. وفي رواية أخرى مات الثلثان وبدأ الموت في الثلث الباقي.. وكان ذلك قريباً من دخول الصيف حيث يوجد فيه الزرع.

رابعاً- ملاحظات نقدية

على الرغم من أن مخطوط المشرفي يعتبر من المصادر المحلية النادرة التي تحدثت عن هذا الوباء في بلاد المغرب، فإن هناك جملة من الملاحظات ينبغي الإشارة إليها حول ما تناوله هذا المخطوط، منها:

- لم يشر المشرفي إلى أي إجراءات احترازية أو طبية اتخذتها السلطات العلوية في المغرب، وكان دائماً يلقي بلائمة انتشار هذا الوباء على أمور سلوكية ودينية للأفراد والجماعات؛ كعدم الوقوف على حدود الله، وانتشار الفساد الخلقي والربا

وغيرها. ولم يكن ينبه على ضرورة تباعد الناس أو حجر أمكنة الوباء ومنع الناس من الدخول إليها. . . أو غير ذلك. وهذا ما كان عليه موقف أغلب الفقهاء في تلك الفترة؛ فقد عارضت طائفة من الفقهاء حقيقة العدوى، واعتبرت الاحتراز منه منافياً للشرع، فأبو حامد المشرفي لا يؤمن بمسؤولية اختلاط الناس واجتماعهم في انتشار الأوبئة، ونكر هذا الأمر بصفة قطعية، وقد يرى أن العدوى ترتبط بأمور أخرى غير مادية في نظره، وليس للاجتماع الإنساني دور فيها، ومنها الفساد الأخلاقي وانتشار البدع وفساد الهواء [28].

- أما في الجزائر؛ فقد ذكر أن الإدارة الاستعماريةكانت تعمل على إحصاء الأحياء في دفاتر(تكنيش) ليعلم حاكم كل منطقة ماتحته من الناس، فإذ بُلّغ بموت أحد شطب اسمه من السجل. ولم يشر إلى أي إجراء احترازي أو صحي كانت تتبعه تلك الإدارة. ويذكر الأب بيرزيه في هذا الصدد أن الإدارة الاستعمارية فرضت على شيوخ القبائل الجزائرية جرد الموتى وإحصاءهم، إلا أن هذا الإحصاء لم يكن دقيقاً بسبب عزوف الكثير من العرب عن التصريح بالأعداد الحقيقية [29].

- ذكر المشرفي أن الوباء قد عمّ المغرب سنة 1868، وهو ما يؤيده أغلب الوثائق الأجنبية التي تتحدث عن تأخر دخول الوباء إلى المغرب الأقصى مقارنة بالجزائر وتونس؛ وذلك بسبب الإجراءات الصحية التي اتخذها المجلس الصحي الدولي بطنجة، المتكون من رؤساء البعثات الأجنبية فيها؛ حيث فرض حجراً صحياً على كل السفن القادمة إلى المغرب بما فيها تلك الخاصة بالحجاج [30].

- لقد فسّر المشرفي ضآلة حجم الخسائر البشرية في المغرب مقارنة بتونس والجزائر، بأن المغرب كان يحظى بولاية السلاطين العلويين الأشراف وبركتهم، وهو الامتياز الذي لم يكن يحظى به القطران الآخران، وهذا الرأي ليس غريباً عليه؛ إذ إن مؤلَّفه هذا محشو بالكثير من الإطراءات وذكرِ محاسن السلاطين العلويين، كما أنه ألّف الكثير من الكتب في مناقبهم، ومردّ ذلك يعود إلى الرعاية والإحسان اللذين كان يحظى بهما المشرفي لدى هؤلاء السلاطين.

وفي الأخير يمكن القول :

-إن مخطوط المشرفي من المصادر المحلية المهمة التي تحدثت عن وباء عام 1867، وما خلفه من خسائر بشرية كبيرة في بلاد المغرب، وما ألحقه من هزّات اجتماعية بين ساكني البوادي والحضر.

- وإنه قد وصف حال فاس التي كان مقيماً فيها، وما عانته من المآسي بسبب هذا الوباء الذي أتى على عدد ساكنيها من ساكنتها ولم يسلم منه حتى الأغنياء والأعيان.

- إن المشرفي ذكر أن هذا الوباء كان عاماً في تونس والجزائر، وأشار إلى أن أحوالهما كانت أسوأ من فاس، وبحسب الأخبار التي كانت ترده، فقد هلك بسبب هذا الوباء نصف سكان الجزائر والنصف الآخر بدأ فيه الوباء.

الهوامش والمراجع

(1) الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، 8أجزاء، ج4، بيروت: دار العلم للملايين، 2002، ص224.

(2) سعد الله، أبو القاسم: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، 5 أجزاء، ج2، الجزائر: دار البصائر، 2007م، ص175.

(3) الأعلام، ج4، ص224.

(4) ابن سودة، عبد السلام: **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، بيروت: دار الفكر، 1997، ص270.

(5) نويهض، عادل: **معجم أعلام الجزائر**، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1980، ص303.

(6) دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص316.

(7) دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ص340.

(8) معجم أعلام الجزائر، ص303.

(9) سعد الله، أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، 10أجزاء، ج7، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص403.

(10) أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2، ص177.

(11) - L'Abbé Burzet: Histoire desdésastres de l'Algérie, 1866-1867-1868, Imprimerie Centrale Algérienne, Alger 1869, p 12.

(12) العنتري، صالح: **مجاعات قسنطينة**، تحرير: رابح بونار، م.و.ن.ت، الجزائر 1974، ص 54.

(13) الشقراني، أحمد بن عبد الرحمن: **القول الأوسط في أخبار بعض ما حل بالمغرب الأوسط**، تحرير: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، 2013، ص 43.

(14) مجاعات قسنطينة، ص55.

(15) القول الأوسط في أخبار بعض ما حل بالمغرب الأوسط، ص 43.

(16) مجاعات قسنطينة، ص58.

(17) - L'Abbé Burzet: Op.cit, pp 51-54.

(18) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، ص228.

(19) القول الأوسط في أخبار بعض ما حل بالمغرب الأوسط ، ص 43.

(20) - L'Abbé Burzet: Op.cit, p 56.

(21) مجاهد، يمينة: "تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، **جامعة وهران**، 1. 2017-2018، ص148.

(22) -L'Abbé Burzet: Op.cit, p 65() .

(23) "تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962"، ص149.

(24) فريق العمل: "المجاعة السوداء" . . عندما قضى الجوع والمرض على خُمس سكان الجزائر ،في ساسة بوست، https://www.sasapost.com/famine-algerienne-de-1866/1868 . 2020/04/17، 07:30.

(25) "تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962"، ص172.

(26) السلاوي، أحمد: **الاستقصال أخبار دول المغرب الأقصى**، تحرير: جعفر الناصر يو محمد الناصري، ج3، الدار البيضاء: دار الكتاب، ص 119-120.

(27) أوبيال، رشيد: **مقتطفات من تاريخ "جائحة بوكليب" التي ضربت المغرب**، في إفادة، . https: / /ifada / tarikh /histoire-10828 . html ، 17 /04/ 2020، 30 : 10.

(28) مقتطفات من تاريخ "جائحة بوكليب" التي ضربت المغرب، ، 17/ 04/ 2020، 30 : 10.

(29) - L'Abbé Burzet: Op.cit, p 64.

(30) البزاز، محمد الأمين: "تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، **كلية الآداب والعلوم الإنسانية**: 1993، ص213.

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت
صدر العدد الأول منها في يناير عام 1975م

رئيس التحرير

أ. د. عثمان حمود الخضر

ترحب المجلة بنشر البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية في مختلف المجالات العلمية.

ومن أبوابها

- البحوث العربية
- البحوث الإنجليزية
- البحوث الفرنسية

الاشتراكات

ترسل قيمة الاشتراك مقدماً بشيك لأمر - جامعة الكويت
مسحوب على أحد المصارف الكويتية

داخل دولة الكويت : للأفراد : 3 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً
الدول العربية : للأفراد : 4 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً
الدول الغير عربية : للأفراد : 4 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً

توجه جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

ص.ب: 170073 الخالدية - الرمز البريدي: 72451 الكويت
تلفون: 24984067 - 24984066 - 24833705 (965)
البريد الإلكتروني: jgaps@ku.edu.kw
موقع المجلة: www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jgaps
jgaps.kuniv : jgaps_ku : jgaps.ku